

دلائل الإعجاز

بسم الله الرحمن الرحيم .

فصل في اللفظ والاستعارة وشواهد تحليلية للمعنى .

اعلم أنه لما كان الغلط الذي دخل على الناس في حديث اللفظ كالداء الذي يـَسري في العروق ويـُفسد مزاج البدن وجب أن يتوخى دائباً فيهم ما يتوخى الطبيب في الداء فإنه من تـَعَهَّد به بما يزيد في مُدَّتِه ويُبقيـه على صحته ويؤمِّنـه الذُّكس في علته . وقد علمنا أن أصل الفساد وسبب الآفة هو ذهابهم عن أن من شأن المعاني أن تختلف عليها الصُّور وتحدث فيها خواص ومزايا من بعد أن لا تكون فإنك ترى الشاعر قد عمَد إلى معنًى مبتذل فصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق إذا هو أغرب في صنعة خاتم وعمل شذفٍ وغيرهما من أصناف الحُلْي . فإنَّ جهلهم بذلك من حالها هو الذي أغواهم واستتـَهواهم وورَّطهم فيما تورَّطوا فيه من الجـَهالات وأدبـاهم إلى التعلُّق بالمُحالات وذلك أنهم لما جـَهلوا شأن الصورة وضعوا لأنفسهم أساساً وبنوا على قاعدة فقالوا : إنه ليس إلا المعنى واللفظ ولا ثالث . وإنه إذا كان كذلك وجب إذا كان لأحد الكلامين فضيلة لا تكون للأخر ثم كان الغرض من أحدهما هو الغرض من صاحبه أن يكون مرجع تلك الفضيلة إلى اللفظ خاصة وأن يكون لها مرجع إلى المعنى من حيث إن ذلك زعموا يؤدِّي إلى التناقض وأن يكون معناهما متغايراً وغير متغاير معاً . ولما أقرُّوا هذا في نفوسهم حَمَلوا كلام العلماء في كلِّ ما نسبوا فيه الفضيلة إلى اللفظ على ظاهره وأبـَوَّأ أن ينظروا في الأوصاف التي أتبعوها نسبتهم الفضيلة إلى اللفظ مثل قولهم : لفظ متمكِّنٌ غير قلق ولا نابٍ به موضعه . إلى سائر ما ذكرناه قَبِلُ فيعلموا أنهم لم يُوجِبوا للفظ ما أوجِبُوه من الفضيلة وهم يَعْنُون نطق اللسان وأجراس الحروف . ولكن جعلوا كالمُوضعة فيما بيـَـنـَهم أن يقولوا اللفظ وهم يُريدون الصورة